١٢

٣٤٩٩٧

جمع القرآن

و

تأليفه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

محمد عبائي الخراساني

نام : المقالات و الرسالات = مجموعه مقالات کنگرهٔ شیخ مفید (ره)

تعداد اجزاء : ۵۰

مؤلّفان : گروهی از علماء و اساتید حوزه و دانشگاه

زبان : عربی و فارسی

چاپ : اوّل

تاریخ : ۱۴۱۳ هجری ـ قمری

چاپخانه : مهر ـ قم

تیراژ : ۱۰۰۰

ناشر : کنگرهٔ هزاره شیخ مفید (ره)

بسم الله الرحمن الرحيم

أشرنا في البداية إلى آراء العلماء والباحثين حول جمع القرآن وتأليفه، بين قائل: إنّ الجمع قد حدث في عصر الخلفاء، وقائل: بأنّه قد جمع في عصر النبي ﷺ بين الدفتين، أو بأنّه كتب على العسب والألواح واللخاف وحفظ في صدور الرجال وجمع بعد ذلك بين الدفتين في عصر الخلفاء، ثم ذكرنا أنّ المشهور بين علماء الشيعة الإمامية القول بأنّه جمع في زمن النبي ﷺ وبالتالي عدم حصول التحريف، وقد ذهب إلى خلاف هذا الرأي طائفة قليلة من الأخباريين، ثم ذكرنا آراء بعض محقّقي الشيعة الإمامية كالصدوق والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والطبرسي وكاشف الغطاء والبهائي والسيد القاضي ـ نور الله ـ وغيرهم ممّن صرح بالجمع في عصر النبي ﷺ كالمرتضى، وممن صرح بعدم التحريف وبالتالي الجمع في عصر النبي، لأنّ القول بعدم التحريف عندهم ملازم لكون جمعه لابد أن يقع بيد معصوم أو باشراف منه.

ثم ذكرنا اعتقاد الشيخ المفيد ـ رض ـ فانّه وإن قوّى في (أجوبة المسائل السروية) انّ جمع القرآن وقع بعد النبي ﷺ وبيد غير المعصوم لكن قوّى في كتابه الآخر (أوائل المقالات) ما عليه أكثر علماء الشيعة، (انّه لم ينقص منه كلمة ولاآية ولا سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز «ثم قال ـ ره ـ وإليه أميل» ثم ذكرنا الاشكال على آراء كبراء العامة حيث الجمهور منهم

يعتقدون بجمع غير المعصوم، وهم مع ذلك ينكرون التحريف، مع أنّ كيفيّة تأليف القرآن وجمعه لو كان كما جاء في كتب القوم لايمكن لهم أن يقولوا بصيانة القرآن عن التحريف. لأنّهم يقولون إنّ أبي بكر بعد أن قُتل سبعون رجلاً من القرّاء في بئر معونة، في حرب اليمامة فخاف ضياع القرآن وذهابه من الناس، تصدّى عمر و زيد بن ثابت لجمع القرآن من العسب، والزقاع، واللخاف، ومن صدور الناس بشرط أن يشهد شاهدان على أنّه من القرآن، وقد صرح بجميع ذلك في عدة أخبار... والعادة تقضي بفوات شيء منه على المتصدّي لذلك إذا كان غير معصوم، كما هو مشاهد فيمن يتصدّى لجمع شعر شاعر واحد أو أكثر إذا كان هذا الشعر متفرّقاً، وهذا الحكم قطعي بمقتضى العادة، ولاأقل من احتمال وقوع التحريف، فإنّ من المحتمل عدم امكان اقامة شاهدين على بعض ما سمع من النبي ﷺ فلايبقى وثوق بعدم النقيصة.

مع أنّ الذين أُسند لهم جمع القرآن ليسوا في مقام علمي وسابقة عقلية حتى يصح أن ينسب إليهم هذا الأمر الجسيم و يعملوا بأهم عمل ثقافي قويم.

ثم ذكرنا أخبار جمع القرآن بعد النبي (كما ادعوا) وما ورد في كيفيّته وجئنا باثني وعشرين حديثاً من طرقهم(طرق العامة).

ثم قمنا بتقييم تلك الأخبار و بيّنا حصول التناقض الصريح فيما بينها حيث أشار بعضها إلى حصول الجمع في عصر عثمان وأشارت أخبار أُخرى إلى حصول ذلك في عصر أبي بكر في حين أكدت أخبار أُخر بحصول الجمع في عهد عمر.

٢ـ ومن حيث المتصدّى لهذا الجمع، هل هو زيد فقط؟ أو بشهادة الشاهدين؟

٣ـ و إنّ عثمان هل أنقص شيئاً ممّا كان مدوّناً قبله؟ أم لا، فبعض الروايات تدل على الأوّل وبعضها على الآخر.

٤ـ وفي ما هو المصدر الذي جمع عثمان القرآن المصحف منه، فإنّ الأحاديث مختلفة من هذه الجهة أيضاً.

٥ـ وفي الذي طلب من أبي بكر جمع القرآن، هل أبي بكر نفسه نهض بالأمر أم طلب منه عمر ـ وهكذا الاختلاف في جامع نسخة الامام وارسال النسخة إلى البلاد ففي بعضها عمر وفي بعضها عثمان، ثم قلنا بأنّه لو أشكل في أخبار الجمع بعد النبيﷺ باختلاف المضمون وتناقضه لكن يمكن القول بالتواتر المعنوي ومرجعه إلى اتقان على عدم تحقق الجمع في زمن النبي ﷺ، ثم أجبنا عن هذا الاشكال، ثم ذكرنا تعارض هذه الأخبار مع ما دل على أنّ القرآن جمع وكتب في عهد رسول الله ﷺ وهذه الأدلة كثيرة ذكرنا منها أحد عشر خبراً.

والدليل الآخر على عدم اعتبار هذه الأخبار تعارضها مع نفس الكتاب فإنّ ظاهر الآيات المستشهدة هناك تدل على أنّ القرآن كان قد جمع في عهد الرسول بُعيد النزول.

والاشكال الآخر هو مخالفة هذه الأخبار للإجماع حيث إنّ المسلمين أجمعوا على تواتر القرآن وهذه الأخبار تدل على أنّ الجمع كان منحصراً بشهادة شاهدين أو شاهداً تعدل شهادته شاهدين كما ذكرنا في الأمر الخامس مخالفة هذه الأخبار مع حكم العقل فإنّ عظمة القرآن في نفسه واهتمام النبي ﷺ بحفظه و قراءته واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي، و ينافي جمع القرآن على النحو المذكور في تلك الأخبار وذكرنا جهات أربعة للقرآن تكفي كل واحدة منها أن يكون موجباً لعناية المسلمين، وصفاتاً أُخرى للنبي ﷺ توجب عليه أن يقوم بنفسه بهذا الأمر القيّم، فكيف يوكل هذا الأمر إلى من بعده مع علمه بأنّهم إمّا معصوم مهجور و إمّا غالب غير معصوم بل ولاحظ له من العلم.

وفي خاتمة الاشكالات أضفنا أمراً سادساً وهو أنّ أحاديث الجمع يلازم التحريف بالنقيصة والزيادة، وأنّ كيفيّة الجمع المذكور تستلزم ذلك ،مع أنّ التحريف بالنقيصة قد ثبت بطلانه في محله ،وبالزيادة خلاف اجماع المسلمين، ثم شرعنا في بيان نظرية بعض الأخباريين والمحدّثين من الشيعة (خلافاً لما مضى في أوّل البحث من نظرية أكابرهم).

من أنّ القـرآن لم يكن قد جمع في عهـد الرسـول وإنّما جمعه علي -عليه السلام- بعد قبضه ﷺ وأتى به القوم فردوه عليـه ثم أمروا زيد بن ثابت بجمعه، و ذكرنـا ما استدلّوا في هذا القـول من الروايات وأجبنـا عنها بأنّه على فـرض وجود مصحف لأمير المؤمنين -عليه السلام- يغاير القـرآن الموجود، واشتماله على زيادات ليسـت في القرآن الموجود، إلاّ أنّـه لا دلالـة في ذلك على أنّ هـذه الـزيـادات كـانت مـن القـرآن وقـد أُسقطت منـه بالتحريف، بل الصحيح أنّ تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل وما يؤوّل إليه الكلام أو بعنوان التنـزيل من الله شرطاً للمراد، لا ما اصطلح عليـه المتأخرين في معنى التأويل، ثم أضفنا بحثاً قرآنياً يؤيد ما ادعيناه .

وفي ختـام الكلام نقلنـا عن المرحـوم آية الله العظمـى البروجردي الفقيـه الكبير والرجالي النحرير إنّ روايات جمع علي -عليه السلام- القرآن قد اخترع صدرها العامّة وأضاف ذيلها الشيعة، فراجع والسلام.

محمد عبائي خراساني

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جمع القرآن وتأليفه

إنّ موضوع جمع القرآن مما اختلفت فيه آراء العلماء والباحثين حول علوم القرآن بين قائل بأنّه وقع في عصر الخلفاء ، أبي بكر؟ أم عمر؟ أم عثمان؟ (على اختلاف التواريخ والروايات) ومن يقول بالجمع في عصر النبي ﷺ (بين الدفتين) أو في العَسِب[١] والألواح واللخاف [٢] وصدور الرجال (كما في المنقولات) وإنّما جمع بين الدفتين في عصر أبي بكر أو غيره وغير هذه الأقوال. ولمّا كانت المسألة من شؤون بحث تحريف الكتاب فلابد في نقل الأقوال وبيان الأفكار من مراجعة ذلك البحث وإلى الكتب التي تناولت هذا الموضوع لأنّ من قال بجمع القرآن بعد النبي ﷺ بيد غير المعصوم فيلزمه القول بامكان التحريف، ومن قال به في زمن النبي فقد اعتقد بصيانته عن الزيادة والنقصان. والمشهور بين علماء الشيعة الامامية، بل المتسالم عليه بينهم هو القول: بعدم التحريف، وانّه جمع في زمن النبي ﷺ وقد ذهب إلى خلافه طائفة قليلة من الاخباريين، اغتراراً بالروايات الدالّة على ذلك، التي سيجئ الجواب عنها، وإليك بعض آراء أعاظم علماء الشيعة الامامية وأعلامهم من المتقدّمين والمتأخّرين.

ففي مقدمة تفسير« آلاء الرحمن في تفسير القرآن» للشيخ الكبير والمفسر النحرير محمد جواد البلاغي وكتاب «مدخل التفسير» للحجة المحقق آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني.

١ـ جريدة من النخل.

٢ـ لخاف: واحده لخفة: حجارة بيض رقاق.

قال شيخ المحدثين صدوق الطائفة في محكي كتاب« الاعتقاد»:«اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيّه هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا انّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب».

وقال السيد المرتضى ـ قدس سره ـ في المحكي عنه في جواب المسائل الطرابلسيّات: «العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته وبلغت حدّاً لم يبلغه ما ذكرناه، لأنّ القرآن معجز للنبوّة، ومأخذ للعلوم الشرعية والأحكام الدينيّة، وعلماء الاسلام قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون متغيّراً أو منقوصاً مع العناية، الصّادقة، والضبط الشديد، وإنّ العلم بتفصيله وأبعاضه ـ في صحة نقله ـ كالعلم بجمله، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة، ككتاب سيبويه والمزني، فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتى لو أنّ مدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب، لعرف وميّز، وعلم أنّه ملحق وليس من أصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه وداود من الشعراء».

وذكر أيضاً:«إنّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن»، واستدل على ذلك بأنّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزّمان، حتى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وانّه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وانّ جماعة من الصّحابة مثل عبد الله بن مسعود و أُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدّة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولامبثوث، وذكر أنّ من خالف في ذلك من الامامية والحشويّة لايعتد بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحتها لايرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحتّها».

وقال الشيخ الطوسي ـ قدس سره القدوسي ـ في أوّل تفسيره المسمّى بـ «التبيان» «أمّا الكلام في زيادته ونقصه فممّا لايليق به ـ يعني بالتفسير ـ أيضاً، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه، فالظاهر من مذهب المسلمين خلافه، وهو لايليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات، غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لاتوجب علماً ولا عملاً والأولى الاعراض عنها».

وتبعه على ذلك المحقق الطبرسي في مقدمة تفسيره «مجمع البيان».

وقال كاشف الغطاء في محكي كشفه: «لاريب أنّه ـ يعني القرآن ـ محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديّان، كما دل عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في كل زمان، ولا عبرة بالنادر، وما ورد من أخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها ـ إلى أن قال: ـ فلابد من تأويلها بأحد وجوه».

وعن السيد القاضي ـ نور الله ـ في مصائب النواصب: «ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الامامية، إنّما قال به شرذمة قليلة منهم لااعتداد بهم فيما بينهم».

وعن الشيخ البهائي ـ قدس سره ـ: «وأيضاً اختلفوا في وقوع الزيادة و النقصان فيه،والصحيح إنّ القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصاناً، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وإنّا له لحافظون﴾ وما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك﴾ ـ في علي ـ وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء».

وعن المقدس البغدادي في شرح الوافية: «وإنما الكلام في النقيصة، والمعروف بين أصحابنا حتى حكي عليه الاجماع عدم النقيصة أيضاً» وعنه أيضاً عن الشيخ علي بن عبد العالي انّه صنف في نفي النقيصة رسالة مستقلة، وذكر كلام الصدوق المتقدم، ثم اعترض بما يدل على النقيصة من الأحاديث، وأجاب بأنّ الحديث إذا جاء على خلاف

الدليل من الكتاب والسنّة المتواترة، أو الإجماع، ولم يمكن تأويله ولاحمله على بعض الوجوه وجب طرحه.

وحكى هذا القول ـ أيضاً ـ عن العلاّمة الجليل الشهشهاني في بحث القرآن من كتابه «العروة الوثقى» ناسباً له إلى جمهور المجتهدين. وعن المحدّث الشهير المولى الفيض الكاشاني في كتابي «الوافي» و «علم اليقين».

وأما الشيخ المفيد ــ رضوان الله تعالى عليه ـ وإن قوى عنده في (أجوبة المسائل السروية) انّ جمع القرآن وقع بعد النبي ﷺ وبيد غير المعصوم، وإنّ قرآن علي ـ عليه السلام ـ غير ما بأيدينا حيث قال:

في جواب (المسألة التاسعة): ما قوله ــ أدام الله تمكينه ـ في القرآن أهو ما بين الدفتين الذي هو في أيدي الناس؟ أم هل ضاع ممّا أنزل الله على نبيّه ﷺ شيئاً أم لا؟ وهل هو ما جمعه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ؟ أو ما جمعه عثمان بن عفان على ما يذكره المخالفون؟

(الجواب): لاشك انّ ما بين الدفتين من القرآن كلام الله تعالى وتنزيله وليس فيه شيء من كلام البشر وهو جمهور المنزل، والباقي ممّا أنزل الله تعالى عند المستحفظ للشريعة للأحكام لم يقع منه شيء، وإن كان الذي جمع ما بين الدفتين لم يجعله في جملة ما جمع، و الأسباب التي دعته إلى ذلك قصوره عن معرفة بعضه ومنها شكّه فيه وعدم تيقّنه، ومنها ما تعمّد اخراجه منه، وقد جمع أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ القرآن المنزل من أوله إلى آخره وألفه بحسب ما وجب من تأليفه فقدّم المكي على المدني، والمنسوخ على الناسخ، ووضع كل شيء منه في محلّه فلذلك قال مولانا الصادق ـ عليه السلام ـ : «أما والله لو قرىء القرآن كما أُنزل لألفيتمونا [1] فيه مسمّون كما سمّي من كان قبلنا، وقال ـ عليه السلام ـ : نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع قصص وأمثال، وربع فرائض وأحكام، فلنا أهل البيت فضائل القرآن».

١ـ أي لوجدتمونا.

غير أنّ الخبر قد صح عن أئمتنا انّهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لايتعداه إلى زيادة ولانقصانٌ منه حتى يقوم القائم ـ عليه السلام ـ فيقرأ القرآن على ما أنزله الله عزّ وجلّ وجمعه أمير المؤمنين وإنّما نهونا ـ عليهم السلام ـ عن قراءة ما ورد في الأخبار من أحرف تزيد على الثابت في المصحف، لأنّها لم تأت على التواتر، وإنما جاء بها الآحاد، وقد يغلط الواحد في ما ينقله، ولأنّه متى قرأ الانسان لما خالف ما بين الدفتين لما ذكرناه، فإن قال قائل: كيف يصح القوْل بأنّ الذي بين الدفتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة فيه ولانقصان، وأنتم تروون عن الأئمة ـ عليهم السلام ـ انّهم قرأوا: ﴿كنتم خير أُئمّة أُخرجت للناس﴾ وكذلك: جعلنا أئمة وسطاً، قيل له: إنّ الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لايقطع على الله تعالى بصحتها فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عما في المصحف الظاهر على ما أُمرنا به حسب ما بيناه، مع انّه لاينكر أن يأتي بالقرآن على وجهين منزلين:

أحدهما ـ ما تضمّنه المصحف، والثاني ما جاء به الخبر، كما يعترف المخالفون به من نزول القرآن على أوجه شتّى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وهوما هو على الغيب بظنين﴾ يريد بمتّهم، وبالقراءة الأُخرى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ يريد به ما هو ببخيل، ومثله قوله تعالى: ﴿جنّات تجري من تحتها الأنهار﴾ على قراءة وعلى قراءة أُخرى تجري تحتها الأنهار، وكما في قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ قرئ إن هذين لساحرين، وما أشبه ذلك مما يكثر تعداده ويطول الجواب بإثباته، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى[1].

ولكن قوّى في أوائل المقالات ما عليه أكثر علماء الشيعة ومحقّقيهم من التأليف في زمن النبيﷺ وانّ قرآن علي ـ عليه السلام ـ ليس فيه شيء زائد على ما عندنا من القرآن إلاّ التفسير و بيان المصداق والتأويل حيث قال في أوائل المقالات في بحث(القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان): أقول(أي المفيد ـ ره ـ) إنّ الأخبار

---

١ ـ رسالة في أجوبة المسائل السَرَوية (للشيخ المفيد ص ٥٩ ـ ٦٠).

قد جاءت مستفيضة عن أئمّة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان.

فأمّا القول في التأليف فالموجود يقضي فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم، ومن عرف الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني لم يرتّب بما ذكرناه.

وأمّا النقصان فإنّ العقول لا تحيله ولا تمنع من وقوعه، وقد امتحنت مقالة من ادّعاه، وكلّمت عليه المعتزلة وغيرهم طويلاً فلم أظفر منهم بحجة أعتمدها في فساده، وقد قال جماعة من أهل الامامة إنّه لم ينقص من كلمة ولامن آية ولامن سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً، قال الله تعالى: ﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربّ زدني علماً**﴾ فسمّى تأويل القرآن قرآناً، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف، وعندي أنّ هذا القول أشبه[1] من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل وإليه أميل، والله أسأل توفيقه للصواب.

وأمّا الزيادة فيه فمقطوع على فسادها من وجه ويجوز صحتها من وجه، فالوجه الذي أقطع على فساده أن يمكن لأحد من الخلق زيادة مقدار سورة فيه على حد يلتبس به عند أحد من الفصحاء، وأمّا الوجه المجوّز فهو أن يزاد فيه الكلمة والكلمتان والحرف والحرفان وما أشبه ذلك مما لايبلغ حد الاعجاز ويكون ملتبساً عند أكثر الفصحاء بكلم القرآن، غير أنّه لابد متى وقع ذلك من أن يدل الله عليه ويوضح لعباده عن الحق فيه، و لست أقطع على كون ذلك بل أميل إلى عدمه و سلامة القرآن عنه، ومعي بذلك حديث عن الصادق جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ وهذا المذهب بخلاف ما سمعناه عن بني نوبخت ـ رحمهم الله ـ من الزيادة في القرآن والنقصان فيه، وقد ذهب إليه

---

١ ـ أي أمثل وأفضل .

جماعة من متكلّمي الإمامية وأهل الفقه منهم و الاعتبار[١]. هذا هو المشهور من عقائد الشيعة الإمامية فهم بين من صرّح بالجمع في عصر النبي، ﷺ كالمرتضى ومن صرح بعدم التحريف وبالتالي الجمع في عصر النبي لأنّ القول بعدم التحريف عندهم ملازم لكون جمعه لابدّ أن يقع بيد معصوم أو باشراف منه.

وإنّما الإشكال يقع على آراء كبراء العامة حيث الجمهور منهم يعتقدون بتأليف غير المعصوم وهم مع ذلك ينكرون التحريف مع أنّ كيفية تأليف القرآن وجمعه لو كان كما جاء في كتب القوم لايمكن لهم أن يقولوا بصيانة القرآن عن التحريف. لأنّهم يقولون إنّ أبا بكر [٢] بعد أن قتل سبعون رجلاً من القرّاء في بئر معونة في حرب اليمامة، فخيف ضياع القرآن وذهابه من الناس، فتصدّى عمر وزيد بن ثابت لجمع القرآن من العسب، والزقاع، واللخاف، ومن صدور الناس بشرط أن يشهد شاهدان على أنّه من القرآن، وقد صرّح بجميع ذلك في عدة من الروايات، والعادة تقضي بفوات شيء منه على المتصدّي لذلك إذا كان غير معصوم، كما هو مشاهد فيمن يتصدّى لجمع شعر شاعر واحد أو أكثر إذا كان هذا الشعر متفرّقاً، وهذا الحكم قطعي بمقتضى العادة، ولاأقل من احتمال وقوع التحريف، فإنّ من المحتمل عدم إمكان إقامة شاهدين على بعض ما سمع من النبي ﷺ فلايبقى وثوق بعدم النقيصة.

مع أنّ الذين باشروا هذا الأمر الجسيم، وضادّوا النبأ العظيم هم أصحاب الصحيفة: أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية، و استعانوا بزيد بن ثابت، ومن الواضح أنّ مضامين القرآن، ومطالبه، ومعانيه، وكيفيّة ترتيب آياته وكلماته، وسوره لاتشبه كتاب مصنّف، وتأليف مؤلف، وديوان شاعر، مما يسهل جمعه وتأليفه وترتيبه لمن بلغ أدنى مرتبة من مراتب العلم، وأخذ

١ـ أوائل المقالات ص ٥٤ إلى ٥٦.

٢ـ استفدنا من كتاب مدخل التفسير للحجة المحقّق آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني ـ دام ظله العالي ـ وسنستفيد ونشير أيضاً فيما سيأتي.

حظّاً قليلاً منه ، ويعلم نقصانه وتحريفه بأدنى ملاحظة، ولايمكن معرفة ترتيب القرآن وتمامية جمعه من نفسه، إذ هو موقوف على معرفة مراد الله تعالى، وحكمة وضع ترتيب السور والآيات بالترتيب المخزون ، وكيفيّة ارتباط الآيات بعضها ببعض، وهذا من العلوم التي قصرت أيدي المذكورين عن تناول أدنى مراتبه، بل هم بمعزل عن تصوّر موضوعه، وعن تصديق المتوقّف على تصديق أصله المفقود فيهم، بل كانوا قاصرين عن معرفة نفس الآيات، وأنّها ممّا جاء به النبي ﷺ أو ممّا دسّها المدلّسون، واختلقها الكذّابون، فاحتاجوا إلى إقامة الشهود، فضلاًعن معرفة ارتباط بعضها بالبعض الموقوف.

وكان أعرف هؤلاء بالقرآن: زيد بن ثابت الذي قال عمر في حقّه: زيد أفرضكم، مع أنّه روى الشيخ ـ ره ـ في التهذيب عن أبي بصير عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ : أشهد على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهليّة، وأمّا كتابته الوحي فهو على ما ذكره أرباب السير إذا لم يكن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أو عثمان حاضراً، وقد طعن عليه أُبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود.

روى الشيخ الطوسي في «تلخيص الشافي» عن شريك، عن الأعمش، قال: قال ابن مسعود: لقد أخذت من رسول الله ﷺ سبعين سورة، وانّ زيد بن ثابت لغلام يهودي في الكتاب له ذوابة.

وأمّا الخلفاء فمقامهم في العلم غير خفيّ، حتى أنّ الأوّل كان جاهلاً بمعنى الكلالة، وقال السيوطي في «الاتقان»:ولاأحفظ عن أبي بكر في التفسير إلاّ آثاراً قليلة جدّاً لاتكاد تجاوز العشرة.

وأمّا عمر فذكر الشيخ زين الدين البياضي في «الصراط المستقيم» أنّه اجتهد في حفظ سورة البقرة تسع عشرة سنة، وقيل: اثنتي عشرة، ونحر جزوراً وليمة عند فراغه، وفيه: ورووا أنّه لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء، وقد صحّ انّه أنكر موت النبي ﷺ لجهله بالكتاب حتى قرئ عليه :﴿إنّك ميّت وانّهم ميّتون﴾ وقد جمع الأصحاب أشياء

كثيرة مما يتعلّق بهذا الباب.

وأمّا عثمان فهو وإن كان من كتّاب الوحي إلاّ أنّه لم يكتب منه إلاّ قليلاً، فعن مناقب ابن شهر آشوب في ذكر كتّابه ﷺ: كان علي ـ عليه السلام ـ يكتب أكثر الوحي، ويكتب أيضاً غير الوحي، وكان أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت يكتبان الوحي، وكان زيد وعبد الله بن الأرقم يكتبان إلى الملوك، وعلاء بن عقبة وعبد الله بن الأرقم يكتبان القبالات، وزبير بن العوام وجهم بن الصّلت يكتبان الصدقات، وحذيفة يكتب صدقات التمر، وقد كتب له عثمان وخالد وأبان ـ ابنا سعيد بن العاص ـ والمغيرة بن شعبة، والحصين بن نمير، والعلاء بن الحضرمي، وشرحبيل بن حسنة الطائحي، وحنظلة بن ربيع الأسدي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو الخائن في الكتابة فلعنه رسول الله ﷺ وقد ارتدّ.

وروى عكرمة، ومجاهد، والسدي، والفرّاء، والزجّاج، والجبائي، وأبو جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ : إنّ عثمان كان يكتب الوحي فيغيّره فيكتب موضع ﴿غفور رحيم﴾ «سميع عليم» وموضع ﴿سميع عليم﴾ «عزيز حكيم» ونحو ذلك، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ومن قال سأُنزل مثل ما أنزل الله﴾.

قال السيد في الطرائف: «ومن طريف ما ذكروه عن عثمان بن عفان من سوء اقدامه على القول في ربّهم ورسولهم: ما ذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾: وروى عن عثمان أنّه قال: إنّ في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتهم وقيل له: ألاتغيّره؟ فقال: دعوه فإنّه لايحلّل حراماً ولايحرّم حلالاً.

وذكر نحو هذا الحديث ابن قتيبة في كتاب «المشكل»، قال ـ رحمه الله ـ : فليت شعري هذا اللحن في القرآن ممّن هو، إن كان عثمان يذكر أنّه من الله فهو كفر جديد، وإن كان من غير الله فكيف ترك كتاب الله مبدّلاً مغيّراً لقد ارتكب بذلك بهتاناً عظيماً ومنكراً.

وأمّا معاوية فعدّه جماعة من مخالفينا من كتاب الوحي، مع أنّ الجمهور نقلوا أنّه

أسلم بعد فتح مكة وقبل وفاة النبي ﷺ بستّة أشهر تخميناً.

قال في الطرائف:«فكيف تقبل العقول أن يوثق في كتابة الوحي بمعاوية مع قرب عهده بالكفر وقصوره في الاسلام حيث دخل فيه».

وقال ابن أبي الحديد: واختلف في كتابته كيف كانت فالذي عليه المحققون من أهل السيرة إنّ الوحي كان يكتبه علي -عليه السلام- وزيد بن ثابت وزيد بن الأرقم، وإنّ حنظلة بن الربيع ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك، وإلى رؤساء القبائل ويكتبان حوائجه بين يديه، ويكتبان ما يجيئ ، من أموال الصدقات ما يقسّم له في أربابها، والأولى أن نذكر ما استدلّوا به في كيفيّة جمع القرآن وتأليفه و استفادوا منه الجمع بعد النبي ﷺ وفي عصر الخلفاء، ثم نذكر ما يخطر بالبال من النقد والايراد، ونبتدئ بما جاء في كتب العامة ونقتفي ما انتهجه آية الله العظمى الخوئي — رض - في كتابه القيّم (البيان) من البحث والتحقيق، ونزيد إليه ببعض ما ينفع الباحث، وندفع ما أُشكل عليه أو يمكن أن يستشكل.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أحاديث جمع القرآن

١ـ روى زيد بن ثابت. قال:

«أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل يمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر: إنّ عمر أتاني. فقال: إنّ القتل قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني من جمع

القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري. للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره.

﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءُوف رحيم* فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم﴾ ٩/ ١٢٨ـ١٢٩.

حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفّاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر»[١][٢].

٢ـ وروى ابن شهاب أنّ أنس بن مالك حدّثه:

«إنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية واذربيجان مع أهل العراق. فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أُفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

١ـ صحيح البخاري، باب جمع القرآن ج ٦ ص ٩٨.

٢ـ كنز العمال في سنن الأفعال والأقوال في باب جمع القرآن ص ٣٦١.

قال ابن شهاب:«وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري.

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ ٣٣/ ٢٣.

فألحقناها في سورتها في المصحف»[1].

٣ـ وروى ابن أبي شيبة باسناده عن علي، قال:

«أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، إنّ أبا بكر أوّل من جمع ما بين اللوحين».

٤ـ وروى ابن شهاب عن سالم بن عبد الله وخارجة:

«إنّ أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل، فكانت الكتب عند أبي بكر حتى توفّي، ثم عند عمر حتى توفّي، ثم كانت عند حفصة زوج النبي ﷺ فأرسل إليها عثمان فأبت أن تدفعها، حتى عاهدها ليردنها إليها فبعثت بها إليه، فنسخها عثمان هذه المصاحف ثم ردها إليها فلم تزل عندها...».

٥ـ وروى هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

«لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت فقال:اجلسا على باب المسجد، فلايأتيكما أحد بشيء من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلاّ اثبتاه، وذلك لأنّه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جمعوا القرآن»

٦ـ وروى محمد بن سيرين، قال:«قتل عمر ولم يجمع القرآن».

٧ـ وروى الحسن:

١ـ صحيح البخاري ج ٦ ص ٩٩، وهاتان الروايتان ومابعدهما إلى الرواية الحادية والعشرين مذكورة في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣ـ ٥٢.

«إنّ عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنّا لله، وأمر بالقرآن فجمع فكان أوّل من جمعه في المصحف».

٨ـ وروى يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال:

«أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس، فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في المصحف والألواح، والعسب، وكان لايقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه،فقام عثمان، فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به، وكان لايقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان، فجاء خزيمة بن ثابت، فقال: إنّي قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، قالوا: ما هما؟قال: تلقيت من رسول الله ﷺ:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتّم...﴾ إلى آخر السورة فقال عثمان: وأنا أشهد أنّهما من عند الله، فأين ترى أن نجعلهما؟ قال أختم بهما آخر ما نزل من القرآن فختمت بهما براءة».

٩ـ وروى عبيد بن عمير قال:

«كان عمر لايثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم... ﴾ إلى آخرها، فقال عمر: لاأسألك عليها بيّنة أبداً، كذلك كان رسول الله »[1].

١٠ـ وروى سليمان بن أرقم، عن الحسن وابن سيرين، وابن شهاب الزهري، قالوا:

«لما أسرع القتل في قرّاء القرآن يوم اليمامة قتل منهم يومئذ أربعمائة رجل، لقي زيد بن ثابت عمر بن الخطاب، فقال له: إنّ هذا القرآن هو الجامع لديننا فان ذهب

١ـ الروايات التي نقلناها عن المنتخب مذكورة في كنزالعمال «جمع القرآن» الطبعة الثانية ج ٢ ص ٣٦١ عدا هذه الرواية ، ولكن بمضمونها رواية عن يحيى بن جعدة.

القرآن ذهب ديننا، وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب. فقال له: انتظر حتى أسأل أبابكر فمضيا إلى أبي بكر فأخبراه بذلك، فقال: لاتعجل حتى أُشاور المسلمين، ثم قام خطيباً في الناس فأخبرهم بذلك، فقالوا: أصبت، فجمعوا القرآن، فأمر أبو بكر منادياً فنادى في الناس من كان عنده شيء من القرآن فليجئ به ...».

١١ـ وروى خزيمة بن ثابت، قال:

«جئت بهذه الآية: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم...﴾ إلى عمر بن الخطاب وإلى زيد بن ثابت، فقال زيد: من يشهد معك؟ قلت: لاوالله ما أدري، فقال عمر: أنا أشهد معه على ذلك».

١٢ـ وروى أبو اسحق، عن بعض أصحابه، قال:

«لما جمع عمر بن الخطاب المصحف سأل من أعرب الناس؟ قيل: سعيد بن العاص، فقال: من أكتب الناس؟ فقيل: زيد بن ثابت، قال: فليملل سعيد وليكتب زيد، فكتبوا مصاحف أربعة، فأنفذ مصحفاً منها إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة، ومصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى الحجاز».

١٣ـ وروى عبد الله بن فضالة، قال:

«لما أراد عمر أن يكتب الامام أقعد له نفراً من أصحابه، وقال: إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فإنّ القرآن نزل على رجل من مضر».

١٤ـ وروى أبو قلابة، قال:

«لما كان في خلافة عثمان جعل المعلّم يعلّم قراءة الرجل، والمعلّم يعلّم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون ويختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلّمين، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً، وأشد لحناً، فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً. قال أبو قلابة: فحدثني مالك بن أنس: قال أبو بكر بن أبي

داود :هـذا مالـك بن أنس جـد مـالك بن أنـس، قال: كنـت فيمن أملي عليهم فـربّما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعلّه أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبـون ما قبلها ومـا بعدها، ويدعـون موضعها حتى يجيـئ أو يرسل إليه، فلّما فرغ من المصحف كتب إلى أهل الأمصـار: إنّي قد صنعت كذا و صنعت كذا، ومحوت ما عندي، فامحوا ماعندكم».

١٥ـ وروى مصعب بن سعد، قال:

«قام عثمان يخطـب الناس، فقـال: أيُّها الناس عهـدكم بنبيكم منـذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القـرآن، تقولـون قراءة أُبي، وقـراءة عبد الله، يقـول الرجل والله مـا تقيم قراءتك، فأعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجئ بالورقة والأديم فيه القرآن، حتـى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان ودعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أمّله عليك فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان، قال: من أكتـب الناس؟ قالوا: كـاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثـابت. قال: فأيّ النـاس أعرب؟ قـالوا: سعيـد بن العـاص. قال عثمان: فليمـل سعيد، وليكتب زيـد، فكتب زيـد، وكتب مصاحف ففـرقها في النـاس، فسمعت بعض أصحـاب محمد ﷺ يقول: قد أحسن».

١٦ـ وروى أبو المليح، قال:

«قال عثمان بن عفان حين أراد أن يكتب المصحف: تملي هذيل وتكتب ثقيف».

١٧ـ وروى عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر القرشي، قال:

«لما فرغ مـن المصحف أُتي به عثمان فنظر فيـه، فقال: قـد أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها».

١٨ـ وروى عكرمة، قال:

«لما أُتي عثمان بالمصحف رأى فيه شيئاً من لحن، فقـال: لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا».

١٩ـ وروى عطاء:

«إنّ عثمان بن عفان لما نسخ القرآن في المصاحف، أرسل إلى أُبيّ بن كعب فكان يملي على زيد بن ثابت، وزيد يكتب، ومعه سعيد بن العاص يعربه، فهذا المصحف على قراءة أُبي و زيد».

٢٠ـ وروى مجاهد:

«إنّ عثمان أمر أُبي بن كعب يملي، ويكتب زيد بن ثابت ، ويعربه سعيد بن العاص وعبد الرّحمن بن الحرث».

٢١ـ وروى زيد بن ثابت:

«لما كتبنا المصاحف فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ فوجدتها عند خزيمة بن ثابت: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه... ـ إلى ـ تبديلاً﴾. وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين أجاز رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين».

٢٢ـ وقد أخرج ابن اشته ، عن الليث بن سعد، قال:

«أول من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لايكتب آية إلاّ بشهادة عدلين، وإنّ آخر سورة براءة لم توجد إلاّ مع أبي خزيمة ابن ثابت، فقال :اكتبوها فإنّ رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب، وإنّ عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنّه كان وحده» [1].

هذه أهم الروايات التي وردت في كيفية جمع القرآن، وهي ـ مع انّها أخبار آحاد لاتفيدنا علماً ـ مخدوشة من جهات شتى.

١ـ تناقض أحاديث جمع القرآن!

إنّها متناقضة في أنفسها فلايمكن الاعتماد على شيء منها، ومن الجدير بنا أن

١ـ الاتقان النوع ١٨ ج ١، ص ١٠١.

نشير إلى جملة من متناقضاتها، في ضمن أسئلة وأجوبة:

١ـ متى جمع القرآن في المصحف؟

ظاهر الرواية الثانية: أنّ الجمع كان في زمن عثمان وصريح الروايات الأُولى: والثالثة، والرابعة، وظاهر البعض الآخر: أنّه كان في زمان أبي بكر، وصريح الروايتين السابعة، والثانية عشرة: أنّه كان في زمان عمر. وفي الرواية السادسة تصريح :بأنّه قتل عمر و لم يجمع القرآن .

٢ ـ من تصدى لجمع القرآن زمن أبي بكر؟

تقول الروايتان الأُولى، والثانية والعشرون :إنّ المتصدي لذلك هو زيد بن ثابت. و تقول الرواية الرابعة : إنّه أبو بكر نفسه، وإنّما طلب من زيد أن ينظر فيما جمعه من الكتب. وتقول الرواية الخامسة ـ ويظهر من غيرها أيضاً ـ: إنّ المتصدي هو زيد و عمر.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٣ـ هل فوض لزيد جمع القرآن؟

يظهر من الرواية الأُولى: أنّ أبابكر قد فوض إليه ذلك فقط، بل هو صريحها فإنّ قوله لزيد: «إنّك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن واجمعه» صريح في ذلك. و تقول الرواية الخامسة وغيرها: إنّ الكتابة إنّما كانت بشهادة شاهدين، حتى إنّ عمر جاء بآية الرجم فلم تقبل منه.

٤ـ هل بقي من الآيات ما لم يدوّن إلى زمان عثمان ؟

ظاهر كثير من الروايات، بل صريحها أنّه لم يبق شيء من ذلك، وصريح الرواية الثانية، بقاء شيء من الآيات لم يدون إلى زمان عثمان.

٥ـ هل نقص عثمان شيئاً مما كان مدوّناً قبله؟

ظاهر كثير من الروايات بل صريحها أيضاً: أنّ عثمان لم ينقص مما كان مدوّناً قبله، وصريح الرواية الرابعة عشرة: انّه محا شيئاً مما دوّن قبله، وأمر المسلمين بمحو ما محاه.

٦ـ من أي مصدر جمع عثمان المصحف؟

صريح الروايتين الثانية والرابعة: أنّ الذي اعتمد عليه في جمعه هي الصحف التي جمعها أبوبكر، وصريح الروايات الثامنة، والرابعة عشرة، والخامسة عشرة: إنّ عثمان جمعه بشهادة شاهدين، وباخبار من سمع الآية من رسول الله ﷺ.

٧ـ من الذي طلب من أبي بكر جمع القرآن؟

ظاهر الرواية الأُولى: أنّ الذي طلب من أبي بكر جمع القرآن، و أخبره بأنّ القتل قد استحرّ [١] بقرّاء القرآن في يوم اليمامة هو: عمر بن الخطاب، وإنّ زيداً امتنع من ذلك أولاً. وظاهر الرواية الثانية عشرة: أنّ زيد بن ثابت لقى عمر بن الخطاب وأخبره بعزمه على جمع القرآن وقال عمر له: انتظر حتى أسأل أبا بكر فمضيا إليه، بذلك، فنهى عن العجلة حتى يشاور المسلمين، وظاهر بعضها: أنّ أبا بكر فرق[٢] على القرآن أن يضيع، فأمر عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت أن يقعدا على باب المسجد لجمع القرآن.

٨ـ من جمع النسخة الأُولى وأرسل منها نسخاً إلى البلاد؟

صريح الرواية الثانية: أنّه كان عثمان، وصريح الرواية الثانية عشرة: أنّه كان عمر.

١ـ أي اشتد.

٢ـ فزع أو خاف.

٩ـ ما أُلحقت بآخر سورة البراءة؟ ومتى أُلحقت ومن أتى بالآية أو الآيتين وبماذا ثبت أنّهما من القرآن؟

صريح الرواية الثانية عشرة، والحادية والعشرين: أنّ الآية التي فقدها زيد بن ثابت، ووجدها عند خزيمة بن ثابت، هي آية واحدة من سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ وصريح مثل الرواية الأُولى: أنّ ما وجد عند خزيمة آيتان من البراءة مضافاً إلى أنّ ظاهر الرواية الأُولى: أنّ الحاق ما جاء به خزيمة كان في زمن أبي بكر، وظاهر الرواية الثامنة: أنّ الإلحاق كان في زمن عثمان، وظاهر البعض الآخر كالرواية الحادية عشرة: أنّ الإلحاق كان في زمن عمر.

مضافاً إلى أنّ صريح الرواية الأُولى: أنّه كان أبا خزيمة، وصريح الرواية الثامنة، والحادية عشرة والثانية والعشرين: أنّه كان خزيمة بن ثابت وهما رجلان ليس بينهما نسبة أصلاً، على ما ذكره ابن عبد البر [1].

مضافاً إلى أنّ ظاهر بعض الروايات: أنّه قُبل ما جاء به خزيمة من دون أن يقترن بشهادة شاهدين، نظراً إلى أنّ رسول الله ﷺ أجاز شهادته بشهادة رجلين، وفي بعضها أنّه قبل اقترانه بشهادة عمر، وتصديقه إياه في كون ما جاء به من القرآن، مع أنّ كلاً منهما يناقض مع ما يدل على أنّه لايقبل إلاّ ما شهد به شاهدان، لأنّ الظاهر إنّ الشاهدين غير المدعى فهما بضميمة المدعى ثلاثة أنفار، فأجازه رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين لاتدل إلاّ على كونه قائماً مقام اثنين في مقام الشهادة، لاقبول دعواه من دون بيّنة، أو كونه معدوداً من الشاهدين، فيكفي الشاهد الواحد كما لايخفى. ومضافاً إلى عدم احتياج الأمر إلى الشهادة، أصلاً، وذلك لأنّ المفروض بحسب تعبير الرواية كون الموجود عند خزيمة هي التي فقدها زيد، ومع وضوح كون المفقود هو الموجود عنده لاحاجة إلى الشهادة، كما لايخفى على أُولي الدراية.

١ـ تفسير القرطبي ج ١ ص ٥٦.

١٠ـ من عيّنه عثمان لكتابة القرآن وإملائه؟

صريح الرواية الثانية: إنّ عثمان عيّن للكتابة زيداً، وابن الزبير، وسعيد ، وعبد الرحمن و صريح الرواية الخامسة عشرة: أنّه عين زيداً للكتابة وسعيداً للإملاء، وصريح الرواية السادسة عشرة: أنّه عيّن ثقيفاً للكتاب و هذيلاً للإملاء، وصريح الرواية الثامنة عشرة: أنّ الكاتب لم يكن من ثقيف وأن المملي لم يكن من هذيل، وصريح الرواية التاسعة عشرة: أنّ المملي كان أُبيّ بن كعب، وأنّ سعيداً كان يعرب ما كتبه زيد، وهذا أيضاً صريح الرواية العشرين بزيادة عبد الرحمن بن الحرث للاعراب.

١١ـ هل عثمان اعتمد في عمله على صحيفة أو قام بالجمع والتأليف من البدو

ظاهر الرواية الثانية: أنّ الذي استند إليه عثمان في جمعه، واعتمد عليه هي الصحف التي كانت عند حفصة زوج النبي ﷺ وهي التي كتبت في زمن أبي بكر، وكانت عنده في حياته، ثم عند عمر زمن حياته، ثم انتقلت إلى حفصة. وظاهر مثل الرواية الثامنة: أنّ عثمان قام بعد عمر فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به. وكان لايقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شاهدان، وقد وقع التصريح في بعض الروايات وهي الرواية الخامسة عشرة: بأنّه اعتمد في ذلك على ما أتاه به الرجل من اللّوح والكتف والعسيب، وعلى اخباره بأنّه سمعه من رسول الله ﷺ.

هذه هي عمدة الأُمور التي تبيّن التناقض بين الروايات المتقدمة، وهنا بعض الأُمور الأُخر تظهر بالتأمل ودقة النظر. ومع هذه المتناقضات كيف تصلح هذه الروايات للركون والاعتماد عليها في هذا الأمر الخطير، الذي لايساعده شيء من العقل والنقل، كما سيظهر عن قريب إنشاء الله تعالى.

إن قلت: هذه الروايات مع كونها كثيرة جدّاً وإن لم تكن متصفة بوصف التواتر

لما ذكر من ثبوت المناقضة والمعاندة بينها، إلاّ أن اتصافها بوصف التواتر المعنوي الذي مرجعه في المقام إلى اتفاقها على عدم تحقّق الجمع في زمن النبي ﷺ ووقوعه بعده اجمالاً وإن لم تعلم كيفيّته وخصوصياته، وإنّه وقع بيد الأول أوالثاني أو الثالث أوغيرهم ممّا لايكاد ينبغي أن ينكر، ولو نوقش في هذا الاتصاف فلاأقل من اتصافه بالتواتر الاجمالي الذي يرجع إلى العلم الاجمالي بمطابقة إحداها للواقع ونفس الأمر، ونتيجته عدم تحقق الجمع في حياة النبي ﷺ.

قلت: الاتصاف بالتواتر الاجمالي ـ كما اعترف به ـ فرع تحقق العلم الاجمالي بمطابقة إحداها للواقع، أو بصدورها عن المعصوم ـ عليه السلام ـ، وبدون تحقق هذا العلم لامجال لهذا الاتصاف أصلاً، ونحن نمنع تحققه، لعدم ثبوت العلم واليقين وجداناً لابصدورها عن المعصوم، لعدم كون شيء من تلك الروايات منسوبة إليه، وحاكية لقوله ونحوه، ولا بالمطابقة للواقع، لأنّ الوجدان يقضي بعدمه، فدعوى التواتر ولو اجمالاً مما لايدعيها المنصف [1] مع انّ روايات الجمع في زمن النبي ﷺ أيضاً كثيرة ربّما تصل إلى التواتر.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٢ـ ضعف الروايات من جهة أُخرى

والذي يبدو هو أنّ كثيراً من هذه الأخبار مجعولة بيد بعض الوضاعين ولايستبعد أنّها من دور اليهود ودسائسهم لتزلزل قوام القرآن والاسلام وتشريعه لأنّ في هذه الأخبار أرضية مناسبة لتضييع القرآن واتهام تحريفه.

والأمر الآخر أنّ المبالغة في شخصية زيد بن ثابت من بين الصحابة في مقابل شخصية سلمان و عبد الله بن مسعود وغيرهم وحتى في مقابل علي ـ عليه السلام ـ كان له أهداف وأسباب.

١ـ مدخل التفسير، ص ٢٥٢ للفاضل اللنكراني.

ولايشك أحد أنّ ايجاد شخصيات كاذبة وطرح رجال مشكوكين وضعفاء هو أحد الطرق الرئيسية التي تستهدف اسقاط الرجال الحقيقيين الذين لهم دور مهمّ في تلك الحركة أو الثورة، سواء كانت تلك الحركة إلهيّة كما في بعثة الأنبياء أو إنسانية كما نلاحظها في وقتنا المعاصر، وزيد بن ثابت في هذه الروايات هو من هذا القبيل:

ففي الرواية الأُولى: يؤمر من جانب أبي بكر وعمر بجمع القرآن ويقول له أبو بكر: إنّك رجل شاب عاقل لانتّهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه.

وفي الرواية الثانية والخامسة: يؤمر زيد بن ثابت في عدة لجمع القرآن.

وفي الرواية الرابعة: يجمع القرآن أبوبكر ويسأل عن زيد بن ثابت النظر فيه.

وفي الرواية الثانية عشرة والخامسة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين والثانية والعشرين: ذكر منه بخير إمّا بأنّه الجامع الوحيد للقرآن وإمّا بأنّه في جمع الجامعين.

وقد ورد في زيد بن ثابت مناقب كذوبة مثل ما نقله ابن سعد في الطبقات عن نفس الرجل (عن زيد بن ثابت) قال: قال لي رسول الله ﷺ: انّه يأتيني كتب من أُناس لاأحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السّريانية؟ فقلت: نعم. قال: فتعلمتها في سبع عشرة ليلة.[1]

هذا مع انّ عبد الله بن مسعود قال في حق الرجل: قرأت على النبي سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه وزيد ذو ذوابتين يلعب مع الصبيان، وقرأت بقية القرآن على خير هذه الأُمة وأقضاهم بعد نبيهم ﷺ علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ وقال الزهري: فأخبرني عبيدالله بن عبد الله أنّ عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت وقال: لقد أسلمت وانّه لفي صلب رجل كافر[2].

١ـ الطبقات لابن سعد جلد ٢ ص ٣٥٨.

٢ـ البحار جلد ٩٢ ص ٧٧.

أضف إلى ذلك أنّ أكثر فضائله(في جمع القرآن أم في غيره منقولة عن نفسه، وللرجل شخصية في دور الخلفاء الثلاث و مقدار العطايا التي منحوها هؤلاء له من أموال إلى درجة خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس، هذا ما عدا ما خلف من الأموال والضياع الشيء الكثير [١].

ومن المظنون جعل هذه الأخبار في شخصية الرجل في خلافة الأمويين، ودور جعل الأحاديث وبيع الحديث بالدينار والدرهم لانّه قد بلغ اهتمام الأمويين به إلى درجة أن جعله معاوية على ديوان المدينة[٢].

٣ـ تعارضها مع روايات أُخرى

إنّ هذه الروايات معارضة بما دل على أنّ القرآن كان قد جمع وكتب على عهد رسول الله ﷺ.

١ـ فقد روى جماعة منهم ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي عن ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إنّ رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة ذات العدد. وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده. فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا، وتنزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوّل ما أُنزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصّتها شبيهة بقصتها، فظننت أنّها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبيّن لنا أنّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما

١ـ مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣٤.

٢ـ تهذيب تاريخ دمشق المجلد ٥ ص ٤٠٢.

سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتهما في السبع الطوال[١].

٢ـ وروى الطبراني، وابن عساكر عن الشعبي. قال:

«جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار، أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، و سعد بن عبيد وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلاّ سورتين أو ثلاث»[٢].

٣ـ وروى قتادة، قال:

«سألت أنس بن مالك من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[٣].

٤ـ وروى مسروق: ذكر عبد الله بن عمر وعبدالله بن مسعود، فقال: «لاأزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة، من عبد اللهبن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبي بن كعب»[٤].

٥ـ وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمر، قال:

«جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي ﷺ فقال: اقرأه في شهر...»[٥] وستجيئ رواية ابن سعد في جمع أُمّ ورقة القرآن.

٦ـ قال السيوطي في (الاتقان) في خاتمة النوع السابع عشر:(أخرج أحمد وغيره من حديث وائلة بن الأسقع أنّ رسول الله ﷺ قال:« أُعطيت مكان التوراة، السبع الطوال،

١ـ منتخب، كنز العمال ج ٢ ص ٤٨، نقل هذا الخبر في كتاب الاتقان في علوم القرآن جلد ١ ص ٢٣٥ وانتج: فثبت أنّ القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي ﷺ وإنّما ترك جمعه في مصحف واحد.

٢ـ نفس المصدر ج ٢ ص ٥٢.

٣ـ صحيح البخاري باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ج ٦ ص ١٠٢.

٤ـ صحيح البخاري باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ج ٦ ص ١٠٢.

٥ـ الاتقان النوع ٢٠ ج ١ ص ١٢٤.

وأُعطيت مكان الـزبور، المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل، المثـاني، وفضّلت بالمفصل»[١] وهـذه الروايـة تـدل على انقسام السـور القرآنيـة في عهـد النبي ﷺ ولسانه بـالأقسام الأربعة، واختصاص كل قسم منها بعنوان خاص.

٧ـ روى الخوارزمي في محكى مناقبه عن علي بـن رياح قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ـعليه السلامـ وأُبي بن كعب.

٨ـ روى الحاكم في (المستـدرك) بسند على شرط الشيخين [٢] عن زيد بن ثابت قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع .[٣]

٩ـ خرج ابن سعـد في محكى (الطبقات): أنبأنا الفضل بن ذكين، حدثنـا الوليد ابن عبـد الله بن جميع قال: حـدثتني جدتي عن أُمّ ورقـة بنت عبد الله بـن الحارث وكان

١ــ قـال الطبرسي ـ روّح الله روحـه ــ فـالسبع الطـوال البقـرة وآل عمران والنسـاء والمائدة والأنعـام والأعراف والأنفال مع التـوبة لأنّهما تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصـل بينهما بالبسملة، وقيل إنّ السابعة سورة يـونس، والطوال جمع الطولى تأنيث الأطول وإنّما سمّيت هـذه السور الطوال لأنّها أطول سور القرآن.

وأمّا المثاني فهي السور التالية للسبع الطوال أوّلها يونس وآخرها النحل، وإنّما سمّيت المثاني لأنّها ثنت الطـوال أي تلتها، وكـان الطوال هي المبـادي، والمثاني لها ثواني وواحـدها مثنـى مثل المعنى والمعاني، وقـال الفراء: واحدهـا مثناة، وقيل: المثاني سـور القرآن كلها طـوالها وقصارها من قـوله تعالى: ﴿كتاباً متشابهاً مثاني﴾.

وأمّا المئون فهـي كل سورة تكون نحواً من مـائة آية أو فويق ذلك أو دوينـه وهي سبع سور أوّلها سورة بني إسرائيل وآخـرها المؤمنون، وقيل إنّ المئين مـا ولي السبع الطوال ثم المثاني بعـدها وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل، وسمّيت مثاني لأنّ المئين مباديها.

وأمّا المفصل فيما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخـر القرآن سمّيت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم .

٢ـ أي الاسناد الذي يعتبره الشيخان (البخاري ومسلم) ويشترطان في قبول السنّة وفي صحّته.

٣ـ أيضاً مـن صحيح الترمذي ص ٧٣٤ كتاب المناقـب باب ٧٥ حديث ٣٩٥٤، ونقل هـذه الرواية البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ١٣٧ عن الحاكم في المستدرك.

رسول الله ﷺ يزورها ويسمّيها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، و كان رسول الله ﷺ قد أمرها أن تؤمّ دارها، وانّ رسول الله ﷺ حين غزا بدراً قالت له: أتأذن لي فأخرج معك أُداوي جرحاكم وأُمرّض مرضاكم، لعلّ الله يهدي لي شهادة؟ قال: «إن الله مهّد لك شهادة».

١٠ـ عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن في زمان رسول الله ﷺ خمسة نفر من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأُبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب.

١١ـ الرواية الخامسة من الروايات المتقدمة المشتملة على التعليل بأنّه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جمعوا القرآن.

هذه هي الروايات الواردة الظاهرة في أنّ الجمع للقرآن قد تحقق في عهد النبيﷺ.

أضف إلى ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في الفهرست من أنّ الجمّاع للقرآن في عهد النبي ﷺ هم علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ و سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو ابن زيد، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل بن أوس، وأبو زيد ثابت بن زيد ابن النعمان، وأُبي بن كعب بن قيس ملك امرؤ القيس، وعبيد بن معاوية، وزيد بن ثابت.

وما قاله الحارث المحاسبي[1] في محكى كتاب (فهم السنن) ما هذا لفظه: «كتابة القرآن ليست بمحدثة فانّه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنّه كان مفرّقاً في الرقاع والأكتاف والعسيب، وإنّما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشراً، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لايضيع منها شيء».[2]

١ـ هو الحارث بن أسد المحاسبي، ويكنّى أبا عبد الله، من أكابر الصوفية، كان عالماً بالأُصول والمعاملات، وهو استاذ أكثر البغداديين في عصره، توفي ببغداد سنة ٢٤٣هـ.

٢ـ استفدنا من كتاب مدخل التفسير للآية ... الفاضل اللنكراني.

ولعل قائلاً يقول: إنّ المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور لا التدوين، وهذا القول دعوى لاشاهد عليها، أضف إلى ذلك انّك ستعرف أنّ حفّاظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستّة؟!! وإنّ المتصفّح لأحوال الصحابة وأحوال النبي ﷺ يحصل له العلم اليقين بأنّ القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ وانّ عدد الجامعين له لايستهان به.

وأمّا ما رواه البخاري باسناده عن أنس، قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، فهو مردود مطروح، لأنّه معارض للروايات المتقدمة، حتى لما رواه البخاري بنفسه، ويضاف إلى ذلك انّه غير قابل للتصديق به، وكيف يمكن أن يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي ﷺ على كثرتهم، وتفرّقهم في البلاد ويستعلم أحوالهم ليمكنه أن يحصر الجامعين للقرآن في أربعة، وهذه الدعوى تخرّص بالغيب وقول بغير علم.

وصفوة القول: إنّه مع هذه الروايات كيف يمكن أن يصدق أنّ أبابكر كان أوّل من جمع القرآن بعد خلافته؟ وإذا سلمنا ذلك فلما ذا أمر زيداً وعمر بجمعه من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، ولم يأخذه من عبد الله، ومعاذ، وأُبيّ، وقد كانوا عند الجمع أحياء، وقد أمروا بأخذالقرآن منهم، ومن سالم نعم إنّ سالماً قد قتل في حرب اليمامة، فلم يمكن الأخذ منه، على أنّ زيداً نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية، فلا حاجة إلى التفحّص والسؤال من غيره، بعد أن كان شاباً عاقلاً غير متهم كما يقول أبوبكر، أضف إلى جميع ذلك أنّ أخبار الثقلين المتظافرة تدلنا على أنّ القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ على ما سنشير إليه .

ومن أدلّتنا ظواهر بعض الآيات ونصوص بعض الروايات الواردة في كتب الفريقين فمنها يعلم أنّ القرآن كان مؤلفاً منظّماً بارادة إلهية بسوره وآياته وابتدائه وانتهائه وأنّ هذا القرآن المؤلف المنظّم أُنزل على النبي الأكرم جملة واحدة في ليلة القدر

من شهر رمضان[١]. وأمّا التنزيل نجوماً و بالترتيل [٢] فهو أمر آخر من مصلحة الحفظ والتعليم وتناسب التشريع مع ما تبتلى به الأُمّة من أحداث، فانّها تقتضي أن يوحى إلى النبي ﷺ وينزل القرآن في طول ثلاث وعشرين سنة.[٣]

١ـ ألف : ﴿ بسم الله الرّحمن الرّحيم* إنّا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدريك ما ليلة القدر ﴾ (سورة القدر) السابعة والتسعين من القرآن .

ب : ﴿إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين ﴾ (الدخان / ٣).

ج : ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن...﴾ (البقرة / ١٨٥).

٢ـ ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلاً﴾ (الإسراء / ١٠٦).

٣ـ ونحن ننقل قول رجلين: أحدهما من العامة، الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (في كتابه القيم: البرهان في علوم القرآن، والثاني العلامة الفذ و المفسر الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن في تفسير سورة القدر المباركة، قال الزركشي في البرهان بعد ذكر الرواية الثانية من الروايات المنقولة هنا من العامة (أي رواية أنس إنّ حذيفة): وفي هذه اثبات ظاهر أنّ الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولانقص. والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنّه كان مفرقاً في العسب و اللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي ﷺ من غير أن قدّموا شيئاً أو أخروا، وهذا الترتيب كان منه ﷺ بتوقيف لهم على ذلك، وأنّ هذه الآية عقب تلك الآية، فثبت أنّ سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد، لافي ترتيب، فإنّ القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾ (سورة البقرة / ١٨٥) وقال تعالى: ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (سورة القدر/ ١)، ثم كان ينزل مفرقاً على رسول الله ﷺ مدة حياته عند الحاجة، كما قال تعالى : ﴿وقرآناً فرّقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ (سورة الاسراء / ١٠٦) فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة. وقال العلاّمة الطباطبائي في تفسير سورة القدر المباركة :

قوله تعالى: ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ضمير ﴿أنزلناه﴾ للقرآن وظاهره جملة الكتاب العزيز لابعض آياته ،ويؤيده التعبير بالإنزال الظاهر في اعتبار الدفعة دون التنزيل الظاهر في التدريج.

وفي معنى الآية قوله تعالى :﴿والكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ الدخان / ٣ وظاهره الاقسام بجملة الكتاب المبين ثم الاخبار عن إنزال ما أقسم به جملة.

فمدلول الآيات انّ للقرآن نزولاً جملياً على النبي ﷺ غير نزوله التدريجي الذي تم في مدة ◊

وبهذا جمع بعض بين نـزول القرآن في ليلة القـدر المباركـة وشهر رمضـان كما هو ظاهر الآيـات، وبين بعثة النبي ﷺ في السابع والعشريـن من رجب. وفي الروايـات أنّه نزل بجملتها على رسـول الله في كل سنة مرة وفي السنة الأخيرة من حيـاته مرتين وإليك بعض هذه الروايات:

ففي البحار: لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي توفّي فيـه،وذلك يوم السبت، أو يوم الأحـد من صفـر أخـذ بيـد عليّ وتبعـه جماعـة من أصحـابـه وتـوجّـه إلى البقيـع، ثمّ قال:«السـلام عليكم أهل القبـور ، وليهنئكم مـا أصبحتم فيه ممّـا فيه النـاس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، إنّ جبرئيـل كان يعرض عليّ القرآن كل سنة مرة، وقد عرضه علي العام مرتين، ولاأراه إلاّ لحضور أجلي» (١).

وفي صحيح البخاري: حدثنـا خالد بن يزيد ، حدثنـا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صـالح، عن أبي هـريرة قـال: كان يعـرض على النبي ﷺ القرآن كل عـام مرة فعـرض عليه مـرتين في العـام الذي قبـض. وكـان يعتكف كل عـام عشراً، فـاعتكف عشرين في العام الذي قبض.(٢)

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير، عن زكريا ، عن فراس، عن عامر عن مسروق، عن عائشـة، قالت: اجتمعن نساء النبي ﷺ فلم تغادر منهنّ امرأة، فجاءت فاطمة كأنّ مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال : (مرحباً بابنتي) ثم أجلسها عن شمالـه، ثم إنّه أسرّ إليها حـديثاً، فبكت فاطمـة ، ثم إنّه سارّهـا، فضحكت أيضاً،

﴿ ثلاث وعشرين سنة كما يشير إليه قوله ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزّلناه تنزيلاً﴾ الإسراء / ١٠٦، وقوله ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتّلناه ترتيلاً﴾ الفرقان : ٣٢.

فلايعبأ بما قيل :إنّ معنى قوله: ﴿أنزلناه﴾ ابتدأنا بانزاله والمراد إنزال بعض القرآن.

١ـ البحار، ج ٢٢ ، ص ٤٧٢.

٢ـ صحيح البخاري ، جلد ٦ فضائل القرآن ص ٢٢٩.

فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت: أخصّكِ رسول الله ﷺ بحديث دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ حتى إذا قبض سألتها عمّا قال، فقالت: إنّه كان يحدّثني أنّ جبرائيل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة، وانّه عارضه به العام مرتين «ولاأراني إلاّ قد حضر أجلي، وانّك أول أهلي لحوقاً بي. ونعم السلف أنا لك» فبكيت، ثم إنّه سارني فقال«ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو نساء هذه الأمّة؟» فضحكت لذلك.(١)

ومما يدل على تأليف القرآن في عهد النبي أخبار تدل على ذكر أسماء السور القرآنية وترتيبها وتعيين مكان الآيات والأمر بجعلها في مكانها، وإليك بعض هذه الأخبار التي جاء في أول ما أُنزل من القرآن وآخره: روى البخاري عن ابن مسعود، قال: أوّل سورة أُنزلت فيها سجدة، النجم.

وأخرج من طريق سفيان وغيره عن حبيب بن أبي عمره، عن سعيد بن جبير، قال: أول ما نزل من آل عمران: ﴿هذا بيان للناس وهدى و موعظة للمتقين﴾ (٢) ثم أُنزلت بقيتها يوم أُحد.

وقال الفريابيّ: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ (٣) قال: هي أوّل ما أنزل الله من سورة براءة.

وقال أيضاً: حدثنا إسرائيل، نبّأنا سعيد، عن مسروق، عن أبي الضُّحى، قال: أول ما نزل من براءة: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ (٤)، ثم نزل أولها، ثم نزل آخرها.

وأخرج ابن أشته في كتاب المصاحف، عن أبي مالك، قال: كان أول براءة ﴿إنفروا خفافاً وثقالاً﴾ سنوات، ثم أُنزلت براءة أول السورة فأُلفت بها أربعون آية.(٥)

١ـ سنن ابن ماجة المجلد ١ ص ٥١٨ وقد نقل في مسند أحمد بهذا السند ص ٢٨٢.

٢ـ سورة آل عمران ١٣٨. ٣ـ سورة التوبة ٢٥. ٤ـ سورة التوبة ٤١.

٥ـ نقلناها جميعاً من الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٠٠.

وفي مجمع البيان عند قوله تعالى ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفّى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون﴾ (١)

هذا آخر آية نزلت من القرآن وقال جبرائيل: ضعها في رأس الثمانين والمائتين من البقرة. عن ابن عباس والسدي قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية ﴿إنّك ميّت وإنّهم ميتون﴾ قال رسول الله ﷺ: ليتني أعلم متى يكون ذلك. فأنزل الله تعالى سورة النصر: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾. وعن ابن عباس وابن عمر: إنّ آخر ما نزلت من القرآن آي الربا (٢).

وأخرج البخاري عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت آية الربا.

وروى البيهقي عن عمر مثله، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ (٣).

وعند أحمد وابن ماجه عن عمر: من آخر ما نزل آية الربا.

وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري، قال: خطبنا عمر، فقال: إنّ من آخر القرآن نزولاً آية الربا.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال الفريابيّ في تفسيره: حدثنا سفيان، عن الكلبيّ، عن ابن صالح، عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ...﴾ الآية، وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثمانون يوماً.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال: آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ...﴾ (٤) الآية، وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية

١ـ البقرة ٢٨١.

٢ـ تفسير مجمع البيان جلد ١ ص ٣٩٤.

٣ـ سورة البقرة ٢٧٨.

٤ـ وأخرجه الترمذي في القراءات باب في كم يختم القرآن حديث ٢٩٤٨ وقال: (حسن غريب) والنسائي.

تسع ليال، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جريج.

وأخرج من طريق عطية عن أبي سعيد، قال: كان آخر آية ﴿واتقوا يوماً ترجعون...﴾ الآية، وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب، قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين.

وأخرج ابن جريج من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، أنّه بلغه أنّ أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين، مرسل صحيح الاسناد.

قلت: ولامنافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا: ﴿واتقوا يوماً﴾ وآية الدين، لأنّ الظاهر أنّها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنّها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنّه آخر، وذلك صحيح، وقول البراء: آخر ما نزل: ﴿يستفتونك﴾، أي في شأن الفرائض وبعضها جاء في حكم القراءة في الصلوة.

١٣٩٦ ـ حدثنا عباد بن موسى، أخبرنا اسماعيل بن جعفر، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن علقمة والأسود، قالا: أتى ابن مسعود رجل فقال: إنّي أقرأ المفصل في ركعة، فقال: أهذّا كهذّ الشعر [1] ونثراً كنثر الدقل [2]؟!! لكن النبي ﷺ كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة، (النجم، والرحمن) في ركعة، و(اقتربت، والحاقة) في ركعة و (الطور ،والذاريات) في ركعة، و(إذا وقعت، ونون) في ركعة، و (سأل سائل ، والنازعات) في ركعة، و (ويل للمطففين، وعبس) في ركعة، و(المدثر ، والمزمل) في ركعة، و (هل أتى، و لاأُقسم بيوم القيامة) في ركعة، و (عمّ يتسائلون، والمرسلات) في ركعة، و(الدخان، وإذا الشمس كورت) في ركعة [3]. سنن أبي داود المجلد٢ ص ١١٧.

١ـ قال الخطابي : الهذّه سرعة القراءة، وإنّما عاب عليه ذلك لأنّه إذا أسرع القراءة ولم يرتلها فاته فهم القرآن وإدراك معانيه (خطابي).

٢ـ الدقل: رديء التمر.

٣ـ الاتقان في علوم القرآن ج ١ ، ص ١٠١ـ ١٠٢. ٣ـ سنن أبي داود.

وأمّا تعيين مكان الآيات والأمر بجعلها في مكانها المناسب فقد جاء في كثير من الأخبار العامة والخاصة، ونقلنا أيضاً قبيل هذا في خبر مجمع البيان عن ابن عباس في الآية(٢٨١) من سورة البقرة، ومضى أيضاً في الأحاديث الأُولى من الأحاديث المعارضة، وأمّا دلالتها على قرآن منظم مؤلف فواضحة.

ومن الأدلة التي تؤيد أنّ القرآن كان عندهم في عهد النبي مدوناً وأنّ سور القرآن قد جمعت في عصره ﷺ ما جاء في تاريخ اسلام عمر، فانظر فيه وانّه كيف دونت سورة طٰه على صحيفة وسميت بهذا الاسم.

قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف الأزرق قال: أخبرنا القاسم بن عثمان البصريّ عن أنس بن مالك قال: خرج عمر متقلّد السيف فلقيه رجل من بني زهرة قال: أين تعمِدُ يا عمر؟ فقال: أُريد أن أقتل محمّداً، قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ قال: فقال عمر: ما أراك إلاّ قد صبوتَ وتركتَ دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدُلّك على العجب يا عمر؟ إنّ ختنك وأُختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه. قال: فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب، قال: فلمّا سمع خباب حسّ عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكم؟ قال وكانوا يقرأون طه فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا، قال : فلعلّكما قد صبوتما؟قال: فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟قال: فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديداً فجاءت أُخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها فقالت وهي غضبى : يا عمر إن كان الحق في غير دينك أشهد أن لاإله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله . فلما يئس عمر قال: اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه قال: وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أُخته: إنّك رجس ولايمسّه إلاّ المطهّرون فقم فاغتسل أو توضأ، قال: فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى قوله: **﴿إنّني أنا الله لاإله إلاّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾**. إلى آخر الواقعة.

٤ـ تعارض أحاديث الجمع مع الكتاب

إنّ هذه الروايات معارضة بالكتاب، فإنّ كثيراً من آيات الكتاب الكريمة دالة على انّ سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض، وإنّ السور كانت منتشرة بين الناس حتى المشركين، وأهل الكتاب فانّ النبي ﷺ قد تحدى الكفار والمشركين على الاتيان بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله،[1] ومعنى هذا أنّ سور القرآن كانت في متناول أيديهم.

وقد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة،[2] وفي قول النبي ﷺ : «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» وفي هذا دلالة على انّه كان مكتوباً مجموعاً، لأنّه لايصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعسب، والاكتاف، إلاّ على نحو المجاز والعناية، والمجاز لايحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فإنّ لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعي، ولايطلق على المكتوب إذا كان مجزّأ غير مجتمع، فضلاً عما إذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور فقط.

ويستفاد من آية ١٠١ و١٠٢ من سورة ١٦ ﴿**وإذ بدلنا آية مكان آية**﴾ إنّ هذا الأمر اتفق والقرآن يدفع عن الرسول، و التبديل يتحقق فيما إذا كان هناك أمراً مبوّباً منظّماً.

ولو نوقش في هذا الظهور بملاحظة أصل اللغة فلامجال للمناقشة بالنظر إلى

١ـ ﴿أم يقولون افتريٰه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ ١١/ ١٣ ، ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ (٢/ ٢٣).

٢ـ ﴿ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين﴾ (٢/ ٢).
﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ (٢٧/ ١).
وفي (٥٦/ ٧٧ـ٧٩) و (٨٠/ ١٢ـ١٣).

العرف العام الذي ألقى عليهم مثل هذه التعبيرات ضرورة إنّ ظهوره في المجموع المؤلف مما لاينبغي الارتياب فيه بهذا النظر.

٥ـ مخالفة أحاديث الجمع للإجماع

إنّ هذه الروايات مخالفة لما أجمع عليه المسلمون قاطبة من أنّ القرآن لاطريق لإثباته إلاّ التواتر، فإنّها تقول: إنّ اثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصراً بشهادة شاهدين، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين، وعلى هذا فاللازم أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضاً وهل يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك؟ ولست أدري كيف يجتمع القول بصحة هذه الروايات التي تدل على ثبوت القرآن بالبينة، مع القول بأنّ القرآن لايثبت إلاّ بالتواتر، أفلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواتراً سبباً للقطع بكذب هذه الروايات أجمع ؟ ومن الغريب أنّ بعضهم كابن حجر فسر الشاهدين في الروايات بالكتابة والحفظ.[1]

وفي ظنّي أنّ الذي حمله على ارتكاب هذا التفسير هو ما ذكرناه من لزوم التواتر في القرآن، وعلى كل حال فهذا التفسير واضح الفساد من جهات:

أمّا أوّلاً: فلمخالفته صريح تلك الروايات في جمع القرآن، وقد سمعتها.

وأمّا ثانياً: فلأنّ هذا التفسير يلزمه أنّهم لم يكتبوا ما ثبت أنّه من القرآن بالتواتر، إذا لم يكن مكتوباً عند أحد، ومعنى ذلك أنّهم أسقطوا من القرآن ما ثبت بالتواتر أنّه من القرآن.

وأمّا، ثالثاً: فلأنّ الكتابة والحفظ لا يحتاج إليهما إذا كان ما تراد كتابته متواتراً وهما لايثبتان كونه من القرآن، إذا لم يكن متواتراً، وعلى كل حال فلا فائدة في جعلهما شرطاً في جمع القرآن.

١ـ الاتقان ـ النوع ١٨ ص ١٠٠.

وعلى الجملة: لابدّ من طرح هذه الروايات، لأنّها تدل على ثبوت القرآن بغير التواتر، وقد ثبت بطلان ذلك بإجماع المسلمين.

٦ـ مخالفة أحاديث الجمع مع حكم العقل

إنّ هذه الروايات مخالفة لحكم العقل، فإنّ عظمة القرآن في نفسه، واهتمام النبيﷺ بحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي ﷺ وما يستوجبه ذلك من الثواب، كل ذلك ينافي جمع القرآن على النحو المذكور في تلك الروايات، فإنّ في القرآن جهات عديدة كل واحدة منها تكفي لأن يكون القرآن موضعاً لعناية المسلمين وسبباً لاشتهاره حتى بين الأطفال والنساء منهم، فضلاً عن الرجال وهذه الجهات هي:

١ـ بلاغة القرآن: فقد كانت العرب تهتم بحفظ الكلام البليغ، ولذلك فهم يحفظون أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف بالقرآن الذي تحدّى ببلاغته كل بليغ، وأخرس بفصاحته كل خطيب لسن، وقد كانت العرب بأجمعهم متوجهين إليه، سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن يحفظه لإيمانه، والكافر يتحفظ به لأنّه يتمنى معارضته، وإبطال حجته.

٢ـ إظهار النبي ﷺ رغبته بحفظ القرآن، والاحتفاظ به: وكانت السيطرة والسلطة له خاصة، والعادة تقضي بأنّ الزعيم إذا أظهر رغبته بحفظ كتاب أو بقراءته فإنّ ذلك الكتاب يكون رائجاً بين جميع الرعيّة، الذين يطلبون رضاه لدين أو دنيا، وقد ورد عن النبي ﷺ: «لاتكتبوا عنّي شيئاً غير القرآن»[1]. وقال ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أُحد: أُنظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر الواحد ـ وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد[2] وجاء معه قوم صدورهم أناجيلهم.

١ـ أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد، الاتقان في علوم القرآن ص ٢٠٢.

٢ـ السيرة النبوية لابن هشام ص ١٠٤.

قال المحقق ابن الجزري: «ثم إنّ الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأُمّة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ ربّي قال لي: قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: أي ربّ إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: إنّي مبتليك ومبتلٍ بك، ومنزل عليك كتاباً لايغسله الماء، تقرأه نائماً ويقظان، فأبعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وانفق ينفق عليك» فأخبر تعالى أن القرآن لايحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرأ في كل حال كما جاء في صفة أُمّته «أناجيلهم صدورهم» وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لايحفظونه إلاّ في الكتب، ولايقرأنه كله إلاّ نظر لا عن ظهر قلب». هذا ما أردنا نقله.[1]

ومن هنا كان حفّاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ جمّاً غفيراً، منهم الأربعة الخلفاء، وطلحة ، وسعد، وابن مسعود، و حذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، و أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأُمّ سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وحفظ القرآن من الأنصار في حياته ﷺ أُبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل، و زيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ومجمع بن حارثة، وأنس بن مالك، وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فقال: إنّه أحد عمومتي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

وقيل: إنّ بعض هؤلاء إنّما أكمل حفظه للقرآن بعد وفاة النبي ﷺ، وأيّاً ما تكن الحال فإنّ الذين حفظوا القرآن من الصحابة كانوا كثيرين، حتى كان عدد القتلى منهم ببئر معونة ويوم اليمامة أربعين ومائة، قال القرطبي: «قد قتل يوم اليمامة سبعون من القرّاء، وقتل في عهد رسول الله ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد». [2]

٣ـ إنّ حفظ القرآن سبب لارتفاع شأن الحافظ بين الناس، وتعظيمه عندهم:

١ـ النهاية لابن أثير المجلد ٥ ص ٢٣.

٢ـ نفس المصدر.

فقد علم كل مطّلع على التاريخ ما للقرّاء والحفّاظ من المنزلة الكبيرة والمقام الرفيع بين الناس، وهذا أقوى سبب لاهتمام الناس بحفظ القرآن جملة، أو بحفظ القدر الميسور منه.

٤ـ الأجر والثواب الذي يستحقّه القارئ، والحافظ بقراءة القرآن وحفظه: هذه أهم العوامل التي تبعث على حفظ القرآن والاحتفاظ به، وقد كان المسلمون يهتمّون بشأن القرآن، ويحتفظون به أكثر من اهتمامهم بأنفسهم، وبما يهمّهم من مال وأولاد، وقد ورد أنّ بعض النساء جمعت جميع القرآن.

أخرج ابن سعد في الطبقات: «أنبأنا الفضل بن دكين، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، قال: حدثتني جدتي عن أُمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويسمّيها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن: إنّ رسول الله ﷺ حين غزا بدراً، قالت له: أتأذن لي فأخرج معك أُداوي جرحاكم وأُمرّض مرضاكم لعلّ الله يهدي لي شهادة؟ قال: إنّ الله مهّد لك شهادة ...» [1] وإذا كان هذا حال النساء في جمع القرآن فكيف يكون حال الرجال، وقد عدّ من حفّاظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ جمّ غفير، قال القرطبي: «قد قتل يوم اليمامة سبعون من القرّاء، وقتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد» [2].

وقد تقدم في الرواية «العاشرة» أنّه قتل من القرّاء يوم اليمامة أربعمائة رجل. على أنّ شدة اهتمام النبي ﷺ بالقرآن، وقد كان له كتّاب عديدون، ولاسيما أنّ القرآن نزل نجوماً في مدّة ثلاث وعشرين سنة، كل هذا يورث لنا القطع بأنّ النبي ﷺ كان قد أمر بكتابة القرآن على عهده. روى زيد بن ثابت، قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»

١ـ الاتقان ـ النوع ٢٠، ص ١٢٥.

٢ـ الاتقان ـ النوع ٢٠ ص ١٢٢، وقال القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٥٠: وقتل منهم «القراء» في ذلك اليوم «يوم اليمامة» فيما قيل سبعمائة.

وفيه الدليل الواضح: انّ القرآن إنّما جمع على عهد رسول الله .[١]

وأمّا حفظ بعض سور القرآن أو بعض السورة فقد كان منتشراً جداً، وشذّ أن يخلو من ذلك رجل أو امرأة من المسلمين. روى عبادة بن الصامت قال:

«كان رسول الله ﷺ يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منّا يعلّمه القرآن».[٢]

وروى كليب، قال:

«كنت مع علي -عليه السلام- فسمع ضجتهم في المسجد يقرأون القرآن فقال: طوبى لهؤلاء...».[٣]

وعن عبادة بن الصامت أيضاً:

«كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منّا يعلّمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلاّ يتغالطوا»[٤].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نعم إنّ حفظ القرآن ولو ببعضه كان رائجاً بين الرجال والنساء من المسلمين، حتى انّ المسلمة قد تجعل مهرها تعليم سورة من القرآن أو أكثر[٥] ومع هذا الاهتمام كله كيف يمكن أن يقال: إنّ جمع القرآن قد تأخّر إلى زمان خلافة أبي بكر، وإنّ أبا بكر احتاج في جمع القرآن إلى شاهدين يشهدان أنّهما سمعا ذلك من رسول الله ﷺ.

وصفوة القول: كيف يوكّل النبي أمر تأليف القرآن إلى بعده وهو أهم مسألة

١ـ المستدرك ج ٢ ص ٦١١.

٢ـ مسند أحمد ج ٥ ص ٣٢٤.

٣ـ كنز العما ل، فضائل القرآن الطبعة الثانية ج ٢ ص ١٨٥.

٤ـ مناهل العرفان ص ٣٢٤.

٥ـ رواه الشيخان، وأبو داود الترمذي، والنسائي، التاج ج ٢ ص ٣٣٢.

في الاسلام وفي حد أمر نبوّته لأنّه أصل الدين وفرعه وهويّة رسالة النبي الأكرم وتبياناً لكل شيء وموعظة ... وشفاء لما في الصدور، ومعجزته الخالدة، ومهيمن الكتب والشرائع وباق إلى يوم القيامة فكيف يوكل أمره إلى من بعده مع علمه بأنّهم إمّا معصوم مهجور وإمّا غالب غير معصوم، بل ولاحظ لهم من العلم والمعرفة بوجه لو لم يجمع القرآن في عصر النبي (وقلنا به في عصر أبي بكر أو عمر أو عثمان كما في بعض التواريخ) فلابد أن نقول بأنّ تدبير أبي بكر وغيره أحسن من تدبير النبي ﷺ وعلمهم أعظم من علمه ﷺ بأحوال الزمان وما سيأتي على الأُمّة في حالة عدم جمع القرآن، مع ما للنبي ﷺ من التدبير العظيم واتصال علمه بالوحي الكريم، فقد قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[1] وكما في سورة التحريم: ﴿وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبّأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلمّا نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير﴾[2] وما ورد في الروايات الصحيحة من أخبار النبي أو الأئمة عن بعض الأُمور و الأشياء في بعض الأحيان، وجوابهم حينما سألوهم أعندكم علم الغيب؟ قالوا: لابل هو تعليم من ذي علم.

ولو فرضنا عدم وجود تنبيهات سماوية للنبي وما يسمّى بعلم الغيب أوتعليم من ذي علم(كما في الروايات) فهل يمكن أن يقال ما أدرك النبي ﷺ ما يدركه كل امام عاقل وقائد عالم (فكيف بالمعصوم، من التشتت والتفرقة بالنسبة إلى كتاب الله المنزل إليه، وهل يمكن أن يقال أدرك عمر وخاف أن يستمر القتال بعد النبي ﷺ ويستشهد القرّاء والحفظة جميعاً كما في الرواية الأُولى ولم يدركه النبي ﷺ و شعر حذيفة خطر ذلك الأمر (كما في الرواية) الثانية وفزع من اختلاف الناس في القراءة ، حيث قال لعثمان :يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. وما

١ـ سورة توبة ٩ آية ١٠٥ .

٢ـ سورة التحريم ٦٦ آية ٣.

قاله زيد بن ثابت(كما في الرواية العاشرة): إنّ هذا القرآن هو الجامع لديننا فإن ذهب القرآن ذهب ديننا. ولم يتوجّه النبي ﷺ لهذه الأُمور البديهيّة الواضحة ويوول الأمر بلزوم شهادة شاهدين لمعرفة آية من آيات الله وما بين الدفتين. ولو فرض عدم علم النبي بهذه الأُمور، فما يقال في الله تبارك وتعالى خالق الظلمات و النور، فما معنى حفظ القرآن عن التحريف. ولو قلنا بالتأليف في عصر الخلفاء لابد أن يقال بأنّ أبي بكر وسائر الخلفاء أرأف بحال المسلمين وأرحم بهم وأكثر سعياً في عدم ايجاد الاختلاف لو لم يؤلّف القرآن.

أن يقال بأنّهم أقوى من النبي ﷺ وأقدر حيث ألّفوا القرآن وجمعوه و لم يقدر عليه النبي ﷺ: سبحانك هل هذا إلاّ بهتان عظيم.

وربّما يستدل ثانياً النبي ﷺ أولى بجمع القرآن من غيره (والنبي لايترك الأولى) لأنّ القرآن نزل وأُوحي إليه لاإلى غيره، وإنّه أكثر إيماناً من غيره ﴿**آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه**﴾ [1] فهو أولى بتأليفه من غيره، وربّما يقال: إنّ جمع القرآن (واجب على النبي ﷺ ذاتاً أن يقوم به) لا أنّه أولى له بل لا يصلح لغيره أن يقوم بهذا الأمر، لأنّ هذا أمر لابدّ أن يأتي من المعصوم نفسه لأنّ في إتيان غيره مظنّة للخطاء والنسيان لو لم يكن سبيلاً للعصيان. وبهذا الدليل نفسه يمكن أن يقال: لايفيد جمع الآخرين لأنّه ربما لايتحقق اقتناع الناس لأنّ الناس كلهم أو جلّهم يؤمنون بالنبي في هذه الأُمور ولايؤمنون بغيره، ونحن نعتقد بأنّ النبي ﷺ لم يترك الواجب بل أتى به حيث قام بجمع القرآن بنفسه أو جمع تحت إشرافه بلا زيادة فيه ولانقصان، والأُمّة تبعها باعتقاد وبرهان.

وأضف إلى ذلك: انّه ليس في خطب علي -عليه السلام- والزهراء -عليها السلام- مع ذكرهم لانحرافات الأُمّة في خطبته الشقشقية وفدك وغيرهما من ذكر لعدم قبول قرآن علي -عليه السلام- عين ولا أثر، لو كان لبان.

١ـ البقرة ٢ آية ٢٨٥.

٧ـ أحاديث الجمع والتحريف

إنّ هـذه الروايـات لـو صحّت، أمكن الاستـدلال بها على التحـريف من جهـة النقص والـزيادة، أمّا التحـريف بالنقيصـة فلما ذكرنـا وانّ الجمع من العسب والـرقاع واللخاف ومن صدور الناس بشرط أن يشهد شـاهدان على أنّه من القرآن (كما صرّح في عدّة أخبـار) يقتضي عادة بفـوات شيء منه على المتصـدّي لذلك إذا كـان غير معصوم ولاأقل من احتمال وقـوع التحريف، فإنّ من المحتمل عـدم امكان إقامة شـاهدين على بعض ممّا سمع من النبي ﷺ لاسيما بعد أن قتل سبعون رجلاً من القرّاء في بئر معونة.

وأمّا التحريف بـالزيادة لأنّ كيفية الجمع المذكورة تستلـزم ذلك، ولايمكن له أن يعتذر عن ذلـك بأنّ حد الإعجاز في بـلاغة القرآن يمنع مـن الزيادة عليه، فـلا تقاس الزيـادة على النقيصة، وذلك لأنّ الاعجاز في بـلاغة القرآن و إن كان يمنـع عن الاتيان بمثل سورة مـن سوره، ولكنّه لايمنع من الـزيادة عليه بكلمة أو بكلمتين، بل ولا بـآية كاملة، ولاسيما إذا كانت قصيرة، ولولا هذا الاحتمال لم تكن حاجة إلى شهادة شاهدين، كما في روايـات الجمع المتقـدمة، فـإنّ الآية التي يـأتي بها الرجـل تثبت نفسهـا أنّها من القرآن أو من غيره، وإذن فلا مناص للقائل بهذه الأخبار من القول بالتحريف بالنقيصة والزيادة، والأُولى قد ثبت بطلانه في محله والآخر خلاف إجماع المسلمين.

وخلاصة ما تقدم أنّ اسناد جمع القـرآن إلى الخلفاء أمر موهوم، مخالف للكتاب؛ والسنة، والاجماع ، والعقل، ولو سلّمنا أنّ الذي جمع القرآن هو أبو بكر في أيام خلافته، فلاينبغي الشك في أنّ كيفيـة الجمع المذكورة في الروايات المتقدمـة مكذوبة، و أنّ جمع القـرآن كـان مستنـداً إلى التـواتـر بين المسلمين. غـايـة الأمـر أنّ الجامـع قـد دوّن في المصحف ما كان محفوظاً في الصدور على نحو التواتر.

نعم لاشك أنّ عثمان قد جمع القرآن في زمانـه، لابمعنى أنّه جمع الآيات والسور في مصحف، بل بمعنـى أنّه جمع المسلمين على قـراءة إمام واحـد، وأحرق المصـاحف

الأُخرى التي تخالف ذلك المصحف، وكتب إلى البلدان أن يحرّقوا ما عندهم منها، ونهى المسلمين عن الاختلاف في القراءة، وقد صرح بهذا كثير من أعلام أهل السنّة.

وهذا العمل من عثمان لم ينتقده عليه أحد من المسلمين، وذلك لأنّ الاختلاف في القراءة كان يؤدي إلى الاختلاف بين المسلمين، وتمزيق صفوفهم، وتفريق وحدتهم، بل كان يؤدي إلى تكفير بعضهم بعضاً، وقد مرّ ـ فيما تقدم ـ بعض الروايات الدالة على أنّ النبي ﷺ منع عن الاختلاف في القرآن، ولكن الأمر الذي انتُقد عليه هو إحراقه لبقية المصاحف، وأمره أهالي الأمصار باحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترض على عثمان في ذلك جماعة من المسلمين، حتى سمّوه بحرّاق المصاحف.

أمّا علماء الشيعة قد مضى قول كبارهم كالطوسي والمرتضى والمفيد وغيرهم ولكن ذهب الاخباريون والمحدّثون وبعض الأُصوليين وعامّة المخالفين إلى أنّ القرآن لم يكن في عهد الرسول ﷺ وإنّما جمعه عليّ ـ عليه السلام ـ بعد قبضه ﷺ وأتى به القوم فردّوه عليه ثم أمر الأوّل والثاني زيد بن ثابت فجمعه، وذكروا أيضاً أسماء عدّةٍ من الصحابة أنّهم قد جمعوا القرآن، واستدلوا ببعض روايات تصانيف الشيعة لا كلّها لأنّ ما ورد من طرق علمائنا في هذا المقام من الروايات فعلى أقسام:

منها: ما يدل على لزوم جمع القرآن وتأليفه بيد المعصوم أو باشرافه وانّه لو وقع بيد غيره لكان مظنة للخطاء والنسيان [1] ومضى انّ هذه الروايات لاتنافي الجمع في عصر النبي ﷺ بل يؤيده.

الثاني :ما يدل على أنّ الأئمة ـ عليهم السلام ـ هم العالمون بتنزيل القرآن وتأويله وتفسيره [2] وهذه الروايات لايدل على الجمع بعد النبي.

والثالث: ما يدل على لزوم التبعية لقرآن الجمهور، والمشهور وانّه اقرأوا كما يقرأ

١ـ كما ورد في البحار ج ٩٢ ص ٨٨ ـ ٨٩ رواية ٢٦ و ٢٩ و ٣٠.

٢ـ نفس المصدر.

الناس[١] وهذا أيضاً يؤيد (ولاسيما بعضها) على عدم التحريف وانّ الجمع لم يقع بعد النبي لأنّ الأمر بالتبعيّة عن مجموع ليس تأليفه بيد المعصوم أو باشرافه وهو مظنة التحريف خلاف الأصل.

والرابع: ما يدل أو يؤيد على وجود قرآن منظم ومؤلف قبل وفاة النبي ﷺ، وهذه الروايات على أقسام فمنها ما يدل على نزول القرآن في كل سنة على النبي مرة واحدة إلاّ في سنة الوداع فانّه نزل مرتين وقد مضى.

والخامس: ما يدل على أنّ ما بأيدينا وأيدي الناس من القرآن غير قرآن علي -عليه السلام- وإنّ قرآن علي -عليه السلام- بعد ما كان في أيدي الأئمة إماماً بعد إمام موجود الآن في يد القائم -عليه السلام- ونحن نشير إليها إجمالاً ثم نذكر ما فيها وما يستفاد منها.

فمنها[٢]: ما عن تفسير القمي، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن علي بن الحكم، عن سيف، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: إنّ رسول الله ﷺ قال لعلي -عليه السلام-: يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولاتضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال: لا ارتدي حتى أجمعه، وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه.

ومنها[٣]: ما في الاحتجاج عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه-: لما توفي رسول الله ﷺ جمع علي -عليه السلام- القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم كما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ، فلمّا فتحه أبو بكر خرج في أوّل صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال: يا عليا أردده فلا حاجة لنا فيه فأخذه علي -عليه السلام- وانصرف.

١-

٢- البحار ج ٩٢ ص ٤٨.

٣- نفس المصدر ص ٤٢.

ومنها [١]: ما في رواية سليم بن قيس عن سلمان الفارسي وفيها: فلمّا رأى علي ـ عليه السلام ـ غدرهم وقلة وفائهم لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه فلم يخرج حتى جمعه كله، فكتبه على تنزيله والناسخ والمنسوخ، فبعث إليه أبوبكر أن اخرج فبايع، فبعث إليه، أنّي مشغول فقد آليت بيمين أن لاأرتدي برداء إلاّ للصلوة حتى أُؤلّف القرآن وأجمعه فجمعه في ثوب و ختمه ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله ﷺ فنادى ـ عليه السلام ـ بأعلى صوته.

أيُّها الناس إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله ثم بالقرآن حتى جمعته كلّه في هذا الثوب فلم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلاّ و قد أقرأنيها رسول الله و علّمني تأويلها، فقالوا: لاحاجة لنا به عندنا مثله. ثم دخل بيته .

ومنها [٢]: ما في رواية سليم بن قيس أيضاً المفصلة المذكورة في الاحتجاج ففيها: قال طلحة: يا أبا الحسن شيئاً أُريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم فقلت: أيّها الناس إنّي لم أزل مشتغلاً برسول الله بغسله وكفنه ودفنه ثم اشتغلت بكتاب الله حتى جمعته، فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط حتى حرف واحد ولم أر ذلك الذي كتبت وألّفت ـ إلى أن قال: ـ فقال له علي ـ عليه السلام ـ: يا طلحة إنّ كل آية أنزلها الله جلّ وعلا على محمّد ﷺ عندي باملاء رسول الله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد ﷺ، وكل حرام وحلال أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيمة، مكتوب باملاء رسول الله ﷺ وخط يدي حتى أرش الخدش. قال طلحة: كل شي من صغير وكبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟ قال: نعم، وسوى ذلك أنّ رسول الله ﷺ أسرّ إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب. الحديث.

١ـ الاحتجاج ص ٥٢.

٢ـ الاحتجاج ص ٨١.

ومنها[1]: ما عن الكليني، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن هاشم، عن سالم بن أبي سلمة عن الصادق ـ عليه السلام ـ في خبر: فإذا قام القائم ـ عليه السلام ـ قرأ كتاب الله عزّ وجلّ على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي ـ عليه السلام ـ إلى الناس، وقال ـ عج ـ: أخرجه علي ـ عليه السلام ـ إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد قد جمعته بين اللوحين فقالوا: هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لاحاجة لنا فيه، فقال: أما والله لاترونه بعد يومكم هذا إنّما كان عليّ ـ عليه السلام ـ أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه.

والجواب عن ذلك:

سلمنا أنّ وجود مصحف لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لاينبغي الشك فيه، وتسالم العلماء الأعلام على وجوده أنّ اشتمال قرآنه ـ عليه السلام ـ على زيادات ليست في القرآن الموجود صحيحاً إلاّ أنّه لا دلالة في ذلك على أنّ هذه الزيادات كانت من القرآن، وقد أُسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أنّ تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل، وما يؤول إليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.

وأنّ هذه الشبهة مبتنية على أن يراد من لفظي التأويل والتنزيل ما اصطلح عليه المتأخّرون من اطلاق لفظ التنزيل على ما نزل قرآناً، وإطلاق لفظ التأويل على بيان المراد من اللفظ، حملاً له على خلاف ظاهره إلاّ أنّ هذين الاطلاقين من الاصطلاحات المستحدثة، وليس لهما في اللغة عين ولا أثر ليحمل عليهما هذان اللفظان «التنزيل والتأويل» متى وردا في الروايات المأثورة عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ.

وإنّما التأويل في اللغة: مصدر مزيد فيه، وأصله «الأول ـ بمعنى الرجوع» ومنه قولهم «أوّل الحكم إلى أهله أي ردّه إليهم».

---

١ ـ الكافي جلد ٢ ص ٨٣٣.

وقد يستعمل التأويل ويراد منه العاقبة، وما يؤول إليه الأمر. وعلى ذلك جرت الآيات الكريمة:

﴿ويُعَلِّمُكَ من تَأويلِ الأحاديثِ﴾ ١٢:٦ ﴿نَبِّئنا بِتَأويلِهِ﴾ : ٣٦ ﴿ هذا تأويل رُؤيايَ ﴾ :١٠٠ ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ ١٨:٨٢.

وأمّا التنزيل: فهو أيضاً مصدر مزيد فيه، وأصله النزول، وقد يستعمل ويراد به ما نزل. ومن هذا القبيل إطلاقه على القرآن في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿إنّه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لايمسّه إلاّ المطهّرون * تنزيل من ربّ العالمين﴾٥٦:٧٧ـ٨٠.

وعلى ما ذكرناه فليس كل ما نزّل من الله وحياً يلزم أن يكون من القرآن، فالذي يستفاد من الروايات في هذا المقام أنّ مصحف علي ـعليه السلامـ كان مشتملاً على زيادات تنزيلاً أو تأويلاً . ولا دلالة في شيء من هذه الروايات على أنّ تلك الزيادات هي من القرآن . وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء المنافقين في مصحف أمير المؤمنين ـعليه السلامـ فإنّ ذكر أسمائهم لابد أن يكون بعنوان التفسير.

ويدل على ذلك ما تقدم من الأدلة القاطعة على عدم سقوط شيء من القرآن، أضف إلى ذلك أنّ سيرة النبي ﷺ مع المنافقين تأبى ذلك فإنّ دأبه تأليف قلوبهم، والاسرار بما يعلمه من نفاقهم، وهذا واضح مع انّ هذه الروايات الدالة على وجود مصحف بأيدي المسلمين ضعيفة، ولله در آية الله العظمى البروجردي حيث نقل عنه انّ هذه الروايات مجعولة قد اخترع صدرها العامّة لمقصد واخترع الشيعة ذيلها لأمر آخر وإليك نفس النقل:

إنّ العامة رووا روايات في مقامين.

الأول: في بيان فضائل أبي بكر فرووا فيه الروايات التي دلت على أنّ أبابكر جمع القرآن ولم يكن مجموعاً بعد وهو من فضائله و مناقبه.

والثاني: عند ذكر صحة الاجماع على خلافة أبي بكر فرووا فيه روايات جمع علي ـ عليه السلام ـ القرآن بأمر النبي ﷺ وقالوا: قعود علي ـ عليه السلام ـ في بيته وعدم حضوره ليس لأجل المخالفة بل لأجل جمع القرآن بحسب أمر النبي ﷺ وهو لايضر في الاجماع وصحته، فأخذ الإمامية ـ رضوان الله عليهم ـ ذلك عنهم و أضافوا إليه بأنّه جمع القرآن وختمه وجاء به المسجد فعرضه عليهم فردوه وقال الرجل كذا و كذا، وذلك لأجل الاحتجاج عليهم وليس ذلك لأجل الرواية والتدوين في كتبهم، فزعم من تأخر عنهم أنّهم نقلوا ذلك للرواية والتحديث، وعلى هذا لا حاجة إلى التعمق والنظر في هذه الروايات لأنّها مجعولات [1]، وأيضاً لايخفى على المحقق انّ روايات التحريف وما يؤول إليه ومنها جمع القرآن بعد النبي وبيد غير المعصوم ضعيفة السند، فإنّ جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السياري، الذي اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه، وأنّه يقول بالتناسخ، ومن علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنّه كذاب، وأنّه فاسد.

تمت بحول الله وقوته

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١ـ الحجة على فصل الخطاب للهيدجي ص ٢٢.